ذلك هو المكان من وضع في بنائه حجراً فقد وضع جوهرة كريمة في تاج المدنية . وهذا هو المقام من احسن على اصحابه بدرهم فقد علق اعظم وسام من الشرف على صدر الانسانية . وتلك هي الدار من بذل على بابها حسنة فقد بنى مثلها في الاخرة . وذلك هو الاحسان الصحيح على المستحقين من ابنائه ومن يصنع مثقال ذرة خيراً يره . فالى اغنياء البلاد نرفع هذه الحالة عن لسان الفقير في هذا اللسان . ومن اكف اولي البر نستمطر الرحمة والجود من كل مكان الى هذا المكان . بلا فرق في مذهب ولا دين عنده اذ هو لا يفرق بين المذاهب والاديان . وحيث اجتمعت اصناف الانسان على احتياج فهناك يليق ان تجتمع الشفقة من اصناف الانسان . فقل الذي كانت تمطر كفه امس فضة وذهباً . والذي كان يقطع ليله بين القمار والاقمار لهواً ولعباً . والذي خرج مسروراً ينادي واطربا من الكسب او خرج كئيباً ينادي من الخسران واحربا . رويدك بعض هذا المال الذاهب في غير طريقه . وحنانيك بعض هذا الجود النافق في غير سوقه . على قوم يرون ما تأتيه من قليل الاحسان وهو الخير الجزيل . وقل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل

الملكتان

في يوم احد من غرة شهر حزيران سنة ١٨١٢ خرج المصور رادوته من مسكنه قاصداً قصر الملمازون حيث تقيم الملكة جوزفين مطلقة نابوليون الاول ليقدم لها تصاوير ازهار كلفته رسمها وكان هذا محبوباً من الملكة لمهارته بالتصوير فدعته رساماً خصوصياً لجلالتها

وكان الجو جميلاً في ذلك اليوم والأفق رائقاً تنير جوانبه شمس الصيف البهيجة . ولما وصل رادوته الى حديقة التويلري قرعت ساعة القصر الحادية عشرة فاسرع للوصول الى باحة الكونكورد كي يأخذ عربة من هناك تخفيفاً لعناء السير على الاقدام الى حيث يقصد . ولكنه ما تجاوز الحديقة حتى رأى عدداً من المتنزهين وقوفاً امام طريق القصر الممتدة لقرب مجرى الماء فدفعه الفضول الخاص باصحاب الفنون فتقدم ليرى واذا بالحضور يهتفون — هذا ملك رومة وهذه الامبراطورة

وكان ملك رومه جالساً على عربة صغيرة يجرها خروفان صوفها ابيض كالثلج يسيران الهوينى على الطريق مقلين ملكا ما مرّ عليه ربيع ونصف من حياة لو عرف آخرها لما حسد عليها . وكانت امه ماري لويز تسير وراء العربة وعلى اكتافها دثار طويل اخضر يشبه ما بفؤادها من السرور والامل

فوقف رادوته امام الحاجز الحديدي متأملاً . وكان بقربه امرأة اضناها الشقاء وبرح بها الاسف فظهرت على اسارير وجهها آثار شجون قتالة ما مصدرها الا تصاريف دهر البسها من الاثواب خرقا بالية تتدلى اطرافها

على الارض باهمال يعان باليأس والمسكنة وحبوط الامل وعلى ذراعها ولديشبه ملك رومة قداً وسناً وبيانه قدراً وحالاً

وكانت تلك الام المسكينة تخاطب ولدها بما لا يدرك فاصغى رادوته لقولها المنقطع وهي تتحبب لطفلها قائلة

— اسفي عليك يا ولدي .. ليس لك عربات ولا لعب . اما هذا الملك فله الخيرات ولديه العظمة والسرور بكل ما يفرح الطفولية ويهيء مجد الشبيبة وانت قسمتك من هذه المسرات حرمان ظالم وشقاء يكتمل مع سنك الى الاشجان . اي فضل لهذا الولد واي كرامة اتى حتى ارتفع وانت ساقط مع انكما ولدتما بيوم واحد وساعة واحدة . انني لم ازل بعد شابة مثل هذه الملكة واحبك كما تحب هي ولدها ولكن لا والد لك اذ قد اختلسته الابدية منك وعبثاً احاول القيام بعبء الواجبات التي ابقاها عليَّ وحدي فقد وهنت قواي وكل يوم اشعر بتفاقم الخطب مع ضعف عزائمي

فنظر رادوته الى المرأة بعد نهاية كلامها فرآها تمسح دموعا حارة تساقطت من مآقيها فانحنى قائلا لها

— اؤكد لك يا هذه انه لو عرفت الامبراطورة بحالتك فلا بد انها تشفق عليك وتوقف مسير اشجانك

— انك واهم يا مولاي فقلوب العظماء قاسية واحشاؤهم لا تلين . لقد قدمت للملكة عرائض عديدة منذ ابتلاني الدهر بالترمل فباتت شكواي لدى جلالتها بلا جواب

— ما اظن ذلك الا لعدم وصول العرائض للملكة ولو انها اطلعت عليها

لفعلت ما تملي عليها فؤادها العظيم . قولي لي اسمك وعنوان بيتك وانا اتكفل بايصال شكواك الى الامبراطورة

قال هذا وكتب على ورقة العنوان الذي القته عليه المرأة وافرغ لديها كل ما وجد بكيسه من الدراهم وتوارى عن ابصارها بسرعة ولما وصل الى ساحة الكوكورد اجال ابصاره مفتشاً على عربة تقله الى الملازون ولكنه تذكر ان لا دراهم معه فظل سائراً على الاقدام

وكانت الملكة جوزفين بانتظاره وقد استبطأته فتكدرت ولما دخل رادوته الى قاعتها قابلته بترحيب وقالت

— لي حق الملام يا عزيزي فقد ابطأت عن الميعاد حتى عيل صبري وانا منتظرة رسم الازهار

فقدم رادوته لها الرسم وقال

— اطلب من جلالتك عفواً لاني قد تأخرت على الطريق اذ اتيح لي مشاهدة ملك رومة وما سعدت بذلك من قبل فاغتنمت الفرصة

وما اتى المصور الى آخر كلامه حتى ارتجفت جوزفين وسرت غمامة على جبينها فقطن رادوته حينئذ لما قال وتلعثم لسانه فاخذ يخبط باعتذاره دون هدى فقالت الملكة

— لا تضطرب يا عزيزي بل اخبرني عما رأيت مفصلا لانني احب سماع ما يسر عن ولد الامبراطور

فتشجع المصور واخبر حادثة الصباح بتمامها وكيف انه اجبر على الحضور لديها سعياً على الاقدام فوصل متأخراً . فقالت وقد اشرق وجهها الجميل فبدد دلائل الشجن

— اذاً انت تكرمت على تلك المرأة بكل ما وجدت في هميانك

فاراد رادوته ان يتكلم فاردفت

— ان هذا ليس عجيباً فاصحاب الفنون ذوو قلوب سامية وشعائر رقيقة

— اوكد لجلالتك ان حالة تلك المرأة تلين اقسى القلوب ولا يلزم قلب سام لاحسان كهذا

— اواه لو يعرف نابوليون بحالة الارملة الشقية وولدها ولكن لا احب ان يعرف ذلك فقد آليت على نفسي ان احسن عوضاً عنه الى شبيه ولده ونهار غد ساذهب لمساعدتها سراً ولا رفيق لي بهذه المهمة سواك لان لك حقاً بسرور الاحسان فاحضر الي الساعة التاسعة

وفي الغد بالساعة المعينة مثل المصور لدى مولاته فركب واياها عربة اعتيادية وسارا الى قلب باريس حيث ترجلا في احد الشوارع الحقيرة وبعد ان استدل المصور على غرفة الارملة تقدم الامبراطورة في ممشى ضيق فتبعته هذه الى درج عال صعداه حتى الدور الخامس وقرعا الباب واذ فتحته الارملة قال لها المصور

— انني على يقين من مساعدة الامبراطور لك اذا عرف بحالتك ولكن لم اجد موافقاً اعلامه بذلك الان وهذه السيدة من شرفاء باريس تحب الاحسان الى ولدك فلا يحتاج تحت كنفها الى مساعدة احد سواها

وكانت جوزفين قد تقدمت الى السرير الراقد عليه الطفل ففتح اجفانه ونظر اليها متبسما مادا يديه الصغيرتين كغريق يود الوصول الى ميناء الامان فانحنت عليه تقبله قائلة

— آه ما اجمل هذا الصبي . لقد قلت لي يا رادوته انه ولد يوم ولادة ولي العهد ملك رومة

فقالت والدة الطفل — نعم يا مولاتي انه ولد بذات اليوم ونفس الساعة اللذين ولد بهما نابوليون الثاني ولولا ممانعة زوجي المتوفي بعرض هذه الحادثة التي تعد اتفاقا غريباً لدى الامبراطور لكنا الان بمأمن من الاحتياج ولكن زوجي كان ابي النفس لا يحب الالتماس وقد كنت بغنى عن طلب الاحسان لو دام هو بقيد الحياة . انما المرء يا مولاتي لا ينظر لسوى الحاضر وها انني اصبحت وحيدة مع هذا الولد الضعيف اشتغل بقدر طاقتي رغماً عن الاشجان التي ادت بجسمي الى الهزال والمرض وهذه هي بقايا الاثاث التي ابقاها زوجي فاضطررت لبيعها سداً لاحتياجاتنا الضرورية

قالت هذا وارسلت نظراً كسيراً على الاثاث كانها تقول (وهذه الحرق البالية لم يرض احد بابتياعها) فقالت الامبراطورة

— ساجتهد ايتها السيدة العزيزة كي انسيك هذه المصائب . فيلزم اولاً ان تبرحي هذا المسكن الحقير وسارسل لك يومياً طبيباً فلا يمضي زمن باذن الله حتى تتحسن صحتك وانت يا عزيزي رادوته تقوم بكل ما يلزم صنعه لراحة هاته السيدة وولدها وهذا حق لي عليك لاننا شريكان

فوعد المصور ان يقوم بالامانة بما تأمر به جلالة شريكته وكانت هذه واقفة ودلائل التأثر بادية على محياها والمرأة المسكينة تقبل يديها ذارفة دموع الفرح ومعرفة الجميل

. . . . . .

ان سقوط جوزفين عن عرش فرنسا سبب كدراً شديداً للشعب فبات

حافظاً لها ذكراً حميداً ومحبة ثابتة وكانت الامبراطورة الاخرى ماري لويز تعلم ذلك فتود استمالة الشعب اليها لتكسب محبته ولهذا لم تكن تألو جهداً الوصول الى بغيتها فكانت كلما ظهرت امام الناس ترسل جواسيس لاستماع ما يقال عنها فاتفق وجود احد هؤلاء المبعوثين قرب الارملة حين خاطبت المصور رادوته فنقل ما جرى حرفياً لمولاته فعزمت هذه على الذهاب لزيارة الارملة ومساعدتها رغماً عن انها لم تكن تحب مثل هذه الزيارات

. . . . . .

وتقدمت جوزفين الى الباب قاصدة الانصراف بعد ان القت بين يدي الصبي كيساً ملوءه ذهب لامع ولكن ما كادت تضع رجلها على العتبة حتى فتح الباب وظهر من ورائه امرأة صبية عليها شارة الجمال والجلال فبهت رادوته وتحير اذ عرف بتلك المرأة ذات الامبراطورة ماري لويز ومعها حاجب مخصوص بجلالتها فانحنت جوزفين لدى ضربتها ولم تكن رأتها بعد فلم ترد ماري عليها السلام فخنقت جوزفين وجلست بعنف على كرسيها مشيرة الى رادوته بالبقاء فاسرعت الارملة وقدمت كرسياً للسيدة الثانية المجهولة فكان هذا اول ملتقى بين ملكتين حازتا شرف الاقتران باعظم رجل ولم تعرف احداهما الاخرى

وما لبثت حتى اظهرت ماري لويز رغبتها بمساعدة الولد واخذه تحت حمايتها فارتجفت جوزفين لدى سماعها ذلك وقالت لضرتها

— ان ما ترجينه يا مولاتي لهو دليل على رقة اخلاقك ولكن باسف اقول لك ان الاوان قد فات لانني اتخذت هذا الولد تحت حمايتي فله بي غنى عن كل مساعدة

فقال الحاجب مشيراً الى ماري لويز — ان حماية مولاتي لهذا الولد ستكون سبباً لايصاله الى ارفع درجة

— وانا ايضاً ارفعه الى درجة اسمى مما تظن

فقالت ماري لويز ضاحكة بسخرية

— اظنك يا هذه ترومين اعلاءه الى ما فوق العرش

فقالت جوزفين — لم لا وما بعد عليّ ايجاد من يملك ويحمل التاج

وكان رادوته مدة هذه المخاطبة باضطراب شديد لانه وحده بين الحضور كان يعرف الملكتين ويخشى ان يحسر اللثام وهنالك يثور بركان الغيرة والطامة الكبرى فتقدم الى جوزفين وقال لها سراً

— ارجوك يا مولاتي ان تذكري وجودك هنا بهيئة خفية ولا تطيلي المحاجة لئلا يشهر الامر ونحن نود الكتمان

ووجه خطابه علناً للملكتين فقال

— ان الغيرة في سبيل الاحسان ان دلائل عظمة النفس فهذا الولد ووالدته الفقيران قد اتخذتهما تحت حمايتي اولا فلا امنع احداكما سيدتيّ عن مد يد المعونة لهما فالله يحب المحسنين

فانحنت الملكتان كل واحدة تسلم على الاخرى وتبادلتا علامات الرضى وخرجتا فتأخر الحاجب قليلا عن مولاته وقال لرادوته

— اتعلم ان السيدة التي تشرفت بمرافقتها هي ماري لويز ملكة فرنسا

— انني اعرف ذلك يا سيدي ولكن انت تجهل ان التي لي الشرف بمرافقتها انما هي جوزفين الملكة السابقة

— آه ان هذا لعجيب وما ذلك الا من حظ الولد الصغير الذي لاشك سيجد في عرش السعادة مقاماً فللحظ اتفاقات غريبة

. . . . . .

وما مرت سنتان على التقاء الملكتين في غرفة ارملة بلانجه حتى اخنى الدهر على فرنسا ومجد امبراطورها فماتت جوزفين في قصر الملمازون من الاسى والشجن وسافرت ماري لويز من فرنسا بعدم مبالاة بل بفرح تاركة ارضاً لم تحبها ولم تحب بها

وكانت ارملة بلانجه اذ ذاك كئيبة تنظر الى المستقبل فتريعها صدماته وقد كانت من قبل تؤمل وصول ولدها الى ذروة المجد والسعادة الا ان ولدها شارل كان يعزيها قائلا

— لا تبكي يا اماه .. أليس لنا سند هو صديقنا رادوته

وحقاً ان من حماية ملكتين ومن مواعيد عظيمة وآمال سعادة لم يبق لشارل الا سند وحيد يأمله وهو رادوته المصور الذي لا يملك من حطام الدنيا شيئاً سوى مهارته بالرسم لانه طول حياته لم يجمع مالا لتكفل قلمه بما يقيه الاحتياج وقد رفض قبول الثروة القليلة التي اوصت له بها جوزفين قبل موتها حزناً وغماً . ولم يك رادوته مع هذا يألو جهداً في سبيل الاحسان الى من اتخذه تحت رعايته فكان يحضر كل مدة لدفع احتياجات الولد الصغير والام المريضة التي لم تتحسن صحتها بل كانت تنذر صديقها وابنها بموت آجل ومؤكد

وتغيب رادوته مدة شهرين عاد بعدهما الى مسكن الارملة فصعد السلم وما لبث ان سمع صوتاً ابح خارجاً من الغرفة يدل على تسمير اخشاب وما

كانت تلك الاخشاب الا تابوت الارملة اغلق ليحجب لاخر مرة دقائق النور عن جثمان من قضت غماً وفي فؤادها يأس اشد من آمال سعادة ماضية

وكان في زاوية الغرفة الصبي شارل اليتيم واقفاً ينظر الى التابوت مودعا آخر آماله وهو يشرق بدموعه وبعض اقارب الميتة مجتمعون هناك يتجادلون بصوت عال على كيفية التخلص من مسئولية حياة اليتيم وما مضت برهة حتى قر الرأي بالاتفاق على ارسال الولد الى ملجأ الايتام

فزاد تحيب اليتيم والتفت بنظر المتوسل الى من حوله فرأى رادوته واقفاً بالباب كملاك حارس ارسل من العلاء لتخفيف مصابه فتقدم اليه بلهفة وارتمى بين ذراعيه قائلا

— كلا كلا .. ان صديقي لا يريد ! أليس صحيحاً انك لا تسلم بارسالي الى ملجأ الايتام ؟ !!

وكانت قطرات الدمع تسيل من مآقي المصور الشهير فحمل الولد على ذراعه وتقدم الى الحضور قائلا

— الا توجد شفقة بقلوبكم ايها القساة اخرجوا من هنا لئلا تدنسوا غرفة كرسها جسد طاهرة سارت الى ربها . والتفت الى الولد قائلا

— هدئ روعك يا شارل فستكون ولدي وساصبح اباك

فاجاب الولد

— نعم نعم ساكون ولدك فتعلمني التصوير وحينما اشب واقوى فلا اترك الايتام يقادون الى الملجأ . اجل ساكون شفيقاً لانني ربيت في حضن الرحمة .. وثبت كل منهما على وعده

. . . . . .

مر خمس وعشرون سنة من ذلك العهد وكان رهط من العلماء وذوي المناصب المشهورين يسيرون الهوينى حاسري الرأس وراء نعش مجلل بالازهار يحمله اربعة على الاكف الى المقابر . وكان بين هؤلاء الرجال العظام شاب يبلغ الثلاثين من عمره يسير والدمع ينظم على خديه عقوداً وعلى وجهه الجميل دلائل حزن مبرح

وكان هذا الرهط اصدقاء المصور رادوته يشيعونه الى مسكنه الابدي والشاب النائح كان شارل الذي تبناه الفقيد وعلمه التصوير فاشتهر بالالمعية وحسن الذوق . وهكذا ان ملكتين له كادتا ان تقوده الى ملجأ الايتام . ولكن حماية عالم فقير رقته الى اسمى ذروة الفلاح فعد بين اعاظم الرجال

فليكس فارس

اضرار المشد

حضرة الفاضلة صاحبة مجلة الانيس الاغر

اسعدني الحظ ان قرأت مراراً بعض اعداد مجلتك الزاهرة فارتحت كل الارتياح لمواضيعها الاجتماعية وخصوصاً المقالات التي تتعلق بنساء بلادنا الشرقية ولما كنت ممن يغارون على هذا الوطن العزيز في كل ما يأول الى ترقي المرأة الشرقية ادبياً وصحياً احببت ان اراسل من وقت الى آخر مجلتك الزاهرة بمواضيع صحية وجيزة مما يناسب حالة المرأة

واول ماخطر لي موضوع مضار المشد او (الكورسه) فهو مفيد للسيدات والبنات خصوصاً وان لم ترق لهن قراءته لانهن لا يردن الاقلاع عن هذه العادة المضرة ولو اقتصر كتاب هذا العصر على البحث في هذا الموضوع وانني واحد من الوف التي دلوي في الدلاء لعله يأتي ببعض ما يزيل البلاء بدعوة بعض السيدات ان لم يكن اكثرهن الى الاقلاع عن هذا التهافت الضار فاقول

لا مشاحة بان السواد الاعظم من الكتاب في هذا الموضوع قد انتقدوا هذه العادة المضرة وبالغوا في وصف ما ينتج من استعمالها حتى علقوا عليه الاخطار العظيمة الناتجة عن شد الاوساط ونسبوها الى الآلة التي تتقيد بها المرأة قائلين انها تفعل بالكبد افعالا لا يرجى منها شفاء الى غير ذلك من الاقوال وممن شددوا النكير على هذه العادة المضرة بو فيه وجان جاك روسو ومونتاني وغيرهم فجئت مبيناً حقيقة الامر فيه فاقول

ان الجمال الصناعي الذي تتخذه المرأة تحليها بالمشد يقوم جسمها ويزيدها جمالا ورشاقة فهي تحتمل الشدة لتجعل نفسها دقيقة الحصر مهضومة الكشح تيهاً للزي او المودة ظانة انها بذلك تقوم الحيز الشوكي وتجعل قوامها معتدلا وصدرها ممشوقا نافراً وتخفف الحصر وتنحل الجسم بقدر الامكان بالضغط الشديد او القليل لتوجه الانظار نحوها محاولة قناع من يراها انها البارزيسية الحسناء . فتدقيق الحصر بالمشد ليس من الجمال في شيء لاننا اذا نظرنا الى تمثال الزهرة معبودة اليونان والرومان وهو اجمل تمثال صنعه البشر باجماع المصورين والنقاشين وكل لذن وقع نظرهم عليه في قصر اللوفر بباريز نرى فيه خصرها مملئاً كصدرها لا فرق بينهما . واذا امكن النزاع في مسألة الجمال